مقياس علم الدلالة: السداسي السادس (لسانيات عامة)

المحاضرة السابعة: الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية

الأستاذة وهيبة بن حدو

النظرية التوليدية التحويلية في اللسانيات الحديثة هي من أهمّ النظريات التي شغلت الفكر العلمي الحديث، فقد امتدّت مسافتها الفكريّة من 1957م ذلك لما نشر تشومسكي كتابه الثوري (البنى التركيبية) إلى 1983م. و قد نشأت على أنقاض البنيوية بعد أن كشف نعوم تشومسكي **Avram Noam Chomsk** النقص الذي يتخللها، و ذلك لاكتفائها بالجوانب السطحية للّغة. يقول تشومسكي: " تنحصر (اللسانيات البنيويّة) في تحليل ما سمّيناه البنية السطحية، و في الخصائص الواضحة في الإشارات و في التركيبات و الوحدات التي يمكن أن تكون جليّة في الإشارة Signal من خلال تقنيات التقطيع و التصنيف و هذا الانحصار هو كامل الوعي" [(1)].

– مراحل تطور النظرية التوليدية التحويلية:

مرت النظرية التوليدية التحويلية بمراحل ثلاث و هي كما يأتي [(2)]:

المرحلة الأولى (1957م–1965م): جسدها تشومسكي في كتابه (البنى التركيبية)، و هي متمحورة حول التركيب الذي يعدّ مركز التحليل بالنسبة للغة ما. و قد ركّز فيها تشومسكي على النقاط التالية:

- الخاصية الإبداعية بوصفها النهاية المفتوحة في اللّغات السامية.
- الحدس أو المقدرة على الحكم اللّغوي عند المتكلّم.
- النظر إلى النظرية اللّغوية على أنّها كتاب يجمع عددا من أساليب الاكتشاف المفيدة.
- تشبيه القواعد النحوية بالقواعد و القوانين الحسابية.

المرحلة الثانية (1965م–1970م): اقترنت بكتابه الذي أخرجه لأهل زمانه وهو (مظاهر النظرية التركيبية Aspects de la théorie syntaxique)، وذلك في عام 1965م، وهذه النظرية معروفة باسم النظرية النموذجية، و هي أكثر اتساعا للقواعد النحوية. و تتكوّن من المكونات الآتية:

(1)-نعوم تشومسكي، اللغة و العقل، ترجمة: إبراهيم مشروح و مصطفى خلال ، دار تينمل، مراكش، ط1، ص42.
(2)- ينظر أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، 2005م، ص 205.

1-المكون التركيبي: و يحتوي على مركبين فرعين:

أ-المكوّن التوليدي (الأساس): و يحتوي على مجموعة من قواعد إعادة الكتابة التي تولّد عددا غير محدود من البنى المركبية التحتية (العميقة) كما يحتوي على مداخل معجمية مزودة بسلسلة من الملامح التمييزية مثل: حي، إنسان، محسوس، مجرد، معدود...، و أهم سمة للمكون الأساس أنّه يرتبط بالبنية العميقة للجملة.

ب-المكون التحويلي: يقوم بتحويل البنية العميقة التجريدية الخاصة بالمكون التوليدي (الأساس) إلى بنية سطحية من خلال قواعد التحويل المختلفة: الحذف، النفي، الاستفهام، البناء للمجهول.

2-المكون الدلالي: يشتق معنى كل جملة من بنيتها العميقة بواسطة قواعد التغيير الدلالي.

3-المكون الفونولوجي: يشتمل على مجموعة من القواعد الفونولوجية التي تقوم باشتقاق التفسير الصوتي لكل جملة انطلاقا من بنيتها السطحية ثمّ كتابتها برموز صوتية.

و قد تعمّق تشومسكي في هذه المرحلة في الجانب التركيبي، و تناول المكوّن الدلالي بصفة ثانويّة.

المرحلة الثالثة: مرتبطة بالكتاب الذي أنشأه بعنوان (دراسات الدلالة في القواعد التوليدية) و الذي ضمّ ثلاث مقالات حول أهميّة المكوّن الدلالي في القواعد التوليدية التحويلية وذلك في عام 1972م، وعرفت النظرية في هذه المرحلة باسم النظرية النموذجية الموسعة. و تميّزت بظهور نظريتين دلاليتين هما:

أ-النظرية الدلالية التفسيرية (التحليلية): أصدر كاثر و فودور سنة 1963 مقالا بعنوان: "بنية النظرية الدلالية" عقب صدور كتاب تشومسكي "البنى التركيبية" سنة 1957م الذي تميز بتغافل المكون الدلالي. فتساءل كل منهما (كاثر و فودور) عن كيفية تعامل القواعد التوليدية مع الظواهر الدلالية، أي مكانة الدلالة في النظرية التشومسكي التي أهملت الدلالة إطلاقا في مرحلتها الكلاسيكية و بالتالي سعى "كاتزو" و "فودور" إلى تمثيل الجملة دلاليا على غرار تمثيلها التركيبي.و عليه فمهمّة هذه النظرية تتمثل في تحديد معاني الوحدات المعجميّة من خلال تحليلها إلى طاقم من الملامح التمييزية.

و تمّ استخدام مصطلحات خاصّة بهذا التحليل الدلالي:

-الواسمات الدلالية: مثل (مُحَّد: إنسان، ذكر).

-المميزات الدلالية: مثل (مُحَّد: حامل الباكالوريا، أعزب).

وقد أسهم العالم بوسطال مع كاتر سنة 1964م في إظهار أهميّة المكوّن الدلالي، حيث بيّنا بأنّ: الوصف اللغوي - النحو= الدلالة. و تسهم طريقة التحليل التفسيري في تحديد مقبولية الجملة من الناحية الدلاليّة.

ب–النظرية الدلالية التوليدية: تطورت الدلالة التوليدية أواخر الستينات على يد الأعلام: "روس"، "ليكوف"، "مكاوي"، و ذلك لأنّ الدلالة ما زالت لم توضع في إطارها الصحيح في المرحلة الثانية للنظرية التشومسكية 1965م، حيث تعمّق تشومسكي في التركيب و تناول المكوّن الدلالي بصفة ثانوية. و عليه عرف مكاوي الدلالة التوليدية بأنّها: "نظام لغوي يربط البنى السطحية بالبنى الدلالية التحتية (العميقة)"، و منه فمهمّة الباحث هي التعمّق في البنى العميقة حتى تقترب من تمثيلها الدلالي السطحي، و تكون البنية العميقة متضمنة لبعض المصطلحات النحويّة المنطقية و المتمثّلة في:

القضيّة و هي: الجملة. المحمول: الفعل و ما شابه. الموضوع: و هو الاسم و ما شابه.

و تشتمل كل جملة على بنية تحتية تحمل معنى معينا. و من هذا المنطلق تقسّم الجمل إلى:

أ–الجملة الخاصة بالمحمول ذي الموضوع الواحد مثل:

جملة "لعب الطفل" (قضية): لعب (فعل): محمول + الطفل(مركب اسمي): موضوع

ب–المحمول ذو الموضوعين مثل: جملة:.

جملة "كتب علي الدرس" (قضية): كتب (فعل): محمول + علي (مركب اسمي) و الدرس (مركب اسمي): موضوع 1 + موضوع 2

ج–المحمول ذو ثلاثة مواضيع مثل: علّم مُحَمَّد خالدا خيرا

جملة (قضية): علّم (فعل): محمول + مُحَمَّد (مركب اسمي): موضوع1+ خالدا (مركب اسمي):موضوع2 + خيرا (مركب اسمي): موضوع3.

–دلالة الجمل في النظريّة التوليدية التحويلية:

اللغة عند تشومسكي هي " مجموعة من الجمل غير محدودة العدد، و كل جملة منها محدودة الطول مصوغة من مجموعة من العناصر المحدودة" [(1)]. فاللغة يستطيع بها المتكلّم أن يؤلّف، و يفهم جملا جديدة غير متناهية لم يسبق له أن سمعها من قبل، و هي التي تميّز الإنسان من الآلات، و الحيوانات [(2)].

و لقد اهتمّ تشومسكي بالجملة، و هذا الاهتمام مبرّر "فالجمل فقط هي التي يمكن أن يكون لها معنى، و لما كان للكلمات معان إشارية فإنّها تكتسبها إمّا من خلال كونها أجزاء من الجمل، و إمّا بتحديد أكثر من خلال التعريفات الظاهرية، غير أنّ التعريفات الظاهرية تكتسب أيضا عن طريق معاني الجمل [(3)].

(1)-محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللسانيات، دار الكتاب الجديد المتّحدة، ط1، 2004م، ص34.
(2)-ينظر محمد محمد يونس علي، المرجع نفسه ، ص83.
(3)- ف.ر بالمر، علم الدلالة إطار جديد، دار المعرفة الجامعية، ترجمة: صبري إبراهيم سيّد، 1995م، ص158.

يبحث تشومسكي في الجملة على اعتبارها الوحدة اللّغوية الأساسية، أمّا أشباه الجمل الفرعيّة الأخرى فهي تبحث في نطاق مفهوم، و قد وضع قواعد تكون قادرة على توليد الجملة الصحيحة فقط، و اتّخذ مبدأ التحليل إلى المكوّنات المباشرة البلومفيلدي مبدأ لتحليل الجملة و لكن بشكل مطوّر على شكل قواعد متتابعة.

إنّ المتكلّم يوظّف عدّة عمليات في توليد جمل تتصف أحيانا بالتكرار و يمكن تبرير ذلك بأنّه "ما دام أنّ النحو يتألّف من عدد محدود من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات، و هذه المفردات قادرة على توليد عدد غير محدود من الجمل، فإنّ هذا يعني بالضرورة أنّ عددا من هذه القواعد لا بدّ أن يصلح للتطبيق أكثر من مرّة، و تسمّى هذه القواعد و التراكيب التي تولّد باسم التراكيب أو القواعد المكرّرة."[1]

و قد ميّز تشومسكي بين نوعين من الجمل:

أ-الجملة النواة: و هي الجملة الأساسية المرتبطة بالبنية العميقة، و من أهم خصائصها أن تكون: بسيطة، تامة، صريحة، إيجابية (غير منفية)، و مبنية للمعلوم.

ب-الجملة المحوّلة: و هي الجملة المشتقة (المتفرعة) عن الجملة النواة، أي أنّها تنقصها خصيصة من خصائص الجملة النواة، و تكون إمّا استفهاما، أو أمرا، أو نهيا، أو معطوفا أو متبعة أو مديحة... و ترتبط الجملة المحولة بالبنية السطحية.

فالجمل تسير عند تشومسكي في سلاسل لغويّة تكون متلازمة ومنتقاة دلاليا أي ككلمة تحدّد نوع الكلمة التي تلحقها، وكل عنصر ينتظم مع العنصر السابق واللاحق في سلاسل لغوية داخل نطاق الجملة.

-البنية السطحية والبنية العميقة للجملة: structure profonde et structure superficielle

من المصطلحات التي استحدثها تشومسكي في نظريته مصطلح البنية السطحية و مصطلح البنية العميقة، و كلاهما يشكل مفتاحا من مفاتيح اللسانيات التوليدية "فالبنية السطحية للجملة عبارة عن نظام مكوّن من مقولات Catégories و مكونات تركيبية تكون برمّتها مرتبطة مباشرة بالإشارة الفيزيقية إلى البنية العميقة التي تكون بدورها عبارة عن نظام من المقولات و المكونات التركيبية"[(2)]. فللغة وجهان: "وجه دال المتمثّل في البنية السطحيّة (س) و وجه المدلول المتمثّل في البنية العميقة (د)"[(3)]

([1]) - جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغويّة، ترجمة و تعليق: حلمي خليل دار، المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط1، 1985مص96-97.

([2])- نعوم تشومسكي، اللغة و العقل، ص242.

(3)- نعوم تشومسكي ، المعرفة اللّغويّة طبيعتها و أصولها و استخدامها، ترجمة: محمد فتيح، دار الفكر مصر، ط1، 1413هـ/1993م، ص84.

فالبنية السطحية إذا تمثّل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل، أي إنّها مجموعة من العلامات اللسانية الملفوظة أو المكتوبة، تتميّز بأنّها تختلف من لغة لأخرى. و هي بنية نهائية ظاهرية تتجسد في شكل ترابط المفردات بشكل أفقي (تركيبي) و تكون صوتية (منطوقة) أو مكتوبة، تشتق من البنى العميقة.

أمّا البنية العميقة فإنّ من أهمّ مميزاتها أنّها موحدة و مشتركة بين جميع اللغات، و تتميّز بكونها:[1]

-بنية مولّدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة و القواعد المعجميّة.

-البنية التي تمثّل التفسير الدلالي للجملة.

-إنّها البنية التي يمكن لها أن تحوّل بواسطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية.

و يرى تشومسكي أنّ هذه البنية هي الأساس و من خصائصها أنّها بنية مجردة مفترضة ينتجها العقل، و تحتوي على كل العلاقات النحوية، و الوظائف التركيبية، و المعلومات الدلالية.

ضرورة الربط بين النحو والدلالة:

نادى تشومسكي في كتابه الثاني "مظاهر النظرية النحويّة" بضرورة إدخال المكوّن الدلالي من أجل إلقاء الضوء على المكوّنات التركيبة، و من ثمّ وصف منهجه بالنحو التفسيريّ، فقد اهتمّ بدمج العنصر الدلالي بالعنصر التركيبي، و جعلها على قدم المساواة. فقد قال: "هناك شعور عام بأنّ الدلالة هي ذلك الجانب العميق أو الهام من اللّغة، و أنّ دراسة هذا الجانب الدلالي بما له من صلة في فهم الدلالات العميقة من اللغة و إدراكها، هو الذي يضفي على الدراسات اللّغوية هذا الطابع المتميّز و المميز"[2].

لقد نمى علم الدلالة الحديث وتشعبت مقارباته، مما جعله قطب الدوران في كلِّ بحث لغويٍّ. و بات أوسع مجالا من أي علم آخر يدرس المفردات، أو المعجم، أو المصطلح.

([1])- ينظر عبد القادر الفهري الفاسي، اللسانيات و اللغة العربية، دار توبقال، الدار البيضاء، 1985م، 168/1.

([2])- جون ليونز، نظرية تشومسكي اللّغوية، ص300.